

## بَيْتُ فَرِيْنَةَ فِي الشَّارِعِ

غَرَبَ الشَّمْسُ مِنَ السَّمَاءِ ... اِنْتَشَرَ السَّحَابُ الْأَسْوَدُ  
 الْكَثِيفُ فِي السَّمَاءِ الْأَزْرَقِ. هَبَّتِ الرِّيحُ الْبَارِدُ  
 فِي أَنْفَاءِ الْعَالَمِ. نَزَلَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَعَانَقَ  
 حُلِّيَّ فِي كَوْبِ رَبِّهِ. وَكَانَ مَعْرَبٌ وَلَمْ تَأْخُرْ أَنْ مَلَ  
 الْجَوُّ بِأُظْلَمَ. صَارَ الْمَدِينَةَ مَطْلُوعًا بِالْمَرْكَبَاتِ  
 الْمُتَنَلِّفَةِ. لَمْ تَمَّ اشْتَدَّ الْمَطَرُ فِي هَذَا اللَّيْلِ الْقُرَّةِ  
 يَسِيرُ النَّاسُ فِي الصَّادِيَةِ لِتَفْقِيفِ مُقْتَابِهِمْ  
 وَكَانَ النَّاسُ يَرْجِعُونَ إِلَى بَيْوتِهِمْ وَأَطْيُورُ  
 إِلَى مَحْشِهِمْ وَالْقِيَوَانَاتِ إِلَى مَسْكِنِهِمْ ...  
 وَلَكِنَّ هَذِهِ الْبَيْتُ قَائِمَةٌ فِي جَانِبِ أَطْرِيقِ  
 الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ مَعَهَا أُخٌ صَغِيرٌ وَكَانَ يَقِفُ  
 يَدَ أُنْتَهَا بِالْيَقِينِ وَكَانَتْ شَعْرَهَا تُطِيرُ بِالرِّيحِ  
 وَتُظَهَرُ فِي وَجْهِهَا أَشْرُ الْخَرْبِ وَالْأَسْبِي  
 وَكَانَ لِبَاسُهَا مَلَوْتُ وَمَحْرِقَةٌ يُفْلِسُ فِي جَانِبِ  
 أَطْرِيقِ بَانْتِظَارِ الصَّدَقَةِ. فِي اللَّيْلِ تَشْتَرِي  
 أَطْعَامًا بِالسُّقُودِ وَتَسْكُنُ مَعَ أَحْوَهَا فِي رُصِيفِ  
 الدُّكَاتِ الْعَدِيمَةِ. وَوَضَعُ أَحْوُ أُخٌ رَأْسَهُ عَلَى  
 فِضِّ أُنْتَهُ. وَنَظَرَتْ هَذِهِ الْبَيْتُ إِلَى إِحْدَى  
 زَوَايَا الشَّارِعِ وَهَذَا أُظْلَمَ فِي الشَّارِعِ تَذَكَّرُ الْحَوَادِثِ

الْفَرِيضَةُ الَّتِي هِيَ الَّتِي فِي حَيَاتِهَا

نَشَأَتْ فَرِيضَةً وَأَحْوَاهَا مَحَمَّدٌ فِي أُسْرَةٍ فِي فِلَسْطِينِ  
وَتَقَوُّوا هَذَا فِي هَذِهِ الْأُسْرَةِ حَيَاةً مَسْرُورَةً. وَكَانَ أَبُوهُمَا  
طَبِيبٌ فِي الْمُسْتَشْفَى. وَكَانَ هَذَا الْمُسْتَشْفَى مَشْهُورٌ  
فِي الْعَالَمِ بِالْقِدْمَةِ الْعُسْنَى. وَكَانَ أُمَّهُمَا مَدْرِسَةً  
فِي مَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ وَكَانَ الْأُسْرَةُ فِي مَعْتَبَةٍ  
وَمَوْدَّةٍ مَعَ جِيرَانِهِمْ وَاشْتَغَلَ فِي الْقِدْمَةِ الْفَقِيرِ  
وَتَنَمَّرُ فَرِيضَةً وَمَحَمَّدٌ مَعَ وَيَلْعَبُ فَرِيضَةً  
وَمَحَمَّدٌ مَعَ الْأَوْلَادِ الْعَرَبِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ. وَفِي الْأَسْبُوعِ  
يَذْهَبُهُمَا إِلَى بُسْتَانِ التُّفَّاحِ. وَيَلْعَبُونَ فِي  
بُسْتَانِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى تِلْكَ رَائِعٌ وَكَانَ هَذَا التَّلْ  
عَاطِيًا بِالسَّوْدِيِّمِ

ذَاتَ يَوْمٍ اسْتَعَدَّ هَذِهِ الْأُسْرَةَ لِأَنَّ ذَهَبَ إِلَى النِّكَاحِ  
وَلَمَّا قَرَّبَ وَقْتُ الْإِخْرَاجِ جَاءَ هَذَا الْخَبْرَ الْفَرِيضَةَ  
وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْخَبْرَ جَدِيدًا لِأَهْلِ فِلَسْطِينِ  
أَعْلَنَ الْحُكُومَةُ إِسْرَائِيلُ أَنَّ يُفْرَغُ أَهْلُ الْفِلَسْطِينِيَّةِ  
مِنْ فِلَسْطِينِ. وَلَمَّا يَذْهَبُ إِلَى النِّكَاحِ فِي السَّيَّارَةِ  
مَنْعَ جَيْشِ إِسْرَائِيلَ السَّيَّارَةَ وَأَمَرَ أَنْ خْتَمَ الرَّحْلَةَ  
فِي كُلِّ مَرْكَبَاتٍ وَذَهَبَ الْأُسْرَةُ مَا سِيَّارًا إِلَى النِّكَاحِ

فِي بَعْدِ شُهُورٍ أُغْلِقَ إِسْرَائِيلُ الصَّادِرُ وَالْمَسَامِدُ  
 فِي فِلَسْطِينِ، وَبَدَأَ أَنْ قَمَعَ أَهْلُ الْفِلَسْطِينِ بِأَظْلَمِ  
 وَمِنْ هَذَا الْأَغْلَقِ أُغْلِقَ الْمَدْرَسُ الْقَدِيمَةَ وَمَقْعَدُ  
 وَأَعْلَى وَحُرَّمِ الْحُكُومَةِ أَنْ الْإِخْرَاجِ مِنْ بُيُوتِهِمْ  
 وَكَذَلِكَ صَارَ الْحَيَاةُ مَعَارِفُ فِي فِلَسْطِينِ  
 إِسْحَادِ وَذَاتِ يَوْمِ خَرَجَ أَبُو الْقَدِيمَةِ مِنْ بَيْتِ  
 لِيَقْدِمَ النَّاسَ الَّذِي جُرِّمَتْ فِي أَظْلَمِ فَكُلُّ إِسْرَائِيلِ  
 وَرَأَى وَاحِدٌ مِّنَ الْبَيْتِ وَقُتِلَ هَذَا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ...  
 بَعْدَ وَفَاةِ أَبُوهَا فَغَنِيَتْ أُمَّهَا وَعَاشَتْ فِي هَذَا الْبَيْتِ  
 بَأَيْسَرٍ وَفَرِيحَةٍ وَاسْتَدَّتْ فَعَرُ وَالْفَاقَةَ فِي فِلَسْطِينِ  
 وَبَدَأَ إِسْرَائِيلُ عَارَهُ "مُفَاجِئَةً"  
 وَعَزِمَ أُمَّهَا أَنْ تَنْقُلَ مِنَ الْفِلَسْطِينِ، وَفِي الْبَيْتِ  
 دَعَبَتْ مَعَ أَتْنَائِهَا إِلَى سَاعِلِ الْبَحْرِ بِانْتِضَارِ  
 الشَّفِيئَةِ الَّذِي يَذْهَبُ إِلَى بَلَدٍ قَرِيبٍ. وَنَالَ  
 الشَّفِيئَةَ وَكَانَتْ مَظْلُومًا بِالْمَرْكَبَاتِ وَالسِّبْلِ.  
 بَيْتِ الرَّحْمَةِ صَارَ أُمَّهَا تَعَبًا جَدًّا وَمَاتَتْ ثُمَّ  
 مَاتَتْ وَمَاتَتْ. وَوَقَعْلَ عَمْدٍ وَوَقَعْلَتْ خَدِيمَةَ  
 وَأَطْوَفَهَا فِي تَرَابِ السَّرِيَا. وَمَنَارُهُمَا يَتِيحًا  
 وَصَبُّوا فِي الْحَيَاةِ. وَالْآنَ وَهُمْ صَبُوفُ الْبَآئِسِ فِي  
 تَرَابِ السَّرِيَا. وَصَاعَتُ حُلِّ مَسْرُورَةٍ وَسَلَامَةٍ  
 فِي الْحَيَاةِ وَفَهِمَتْ أَنَّ السَّرُورُ نَهَارُ الْحَيَاةِ وَالْخُرْتُ  
 لَيْلُهَا.

وَاسْتَبْقَظَ فُدَيْعَةَ مِثِّ التَّذْكِيرَاتِ. وَكَانَتْ  
تَذْرَهُ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهَا. وَمَسَحَ وَمَسَعَتْ  
رَأْسَ أَخُوهَا وَقَبَّلَ مِنْ وَجْهِهِ. وَأَبْقَظَ الْوَلَدُ  
وَاسْتَمَرَّ أَنْ يَجْلِسَ فِي رُصَيْفِ الدُّكَّانِ  
يَا نَتِصَارِ الصَّدَقَةِ. وَخَبِرَ كُلَّ الْمَسَاكِينِ الْيَتِيمِ  
وَأَنْشَطَرَ الْمُنْبِجِ أَنْ يُنْعَاهُمْ مِنْ هَذَا الْأَقْوَالِ...  
وَسَلَّيْتُ لَأَب